قسم: التاريخ والآثار

الفرقة: الثالثة "شعبة الآثار"

المادة: تاريخ مصر الحديث

زمن الامتحان: ساعتان

اجابة امتحان الفصل الدراسي الثاني للعام الجامعي ٢٠١٣/٢٠١٤

أجب عن سؤالين فقط:

السؤال الأول: وضح نظام الحكم والإدارة في مصر العثمانية.

الإجابة

أقام السلطان العثماني سليم الأول في مصر قرابة ثمانية شهر (يناير –سبتمبر ١٥١٧) حيث قضى هذه المدة في دراسة أحوال مصر الدخلية بنفسه واستطاع في خلال هذه الفترة أن يجمع بعض المعلومات عن الأحوال الإدارية والمالية في البلاد حتى يسترشد بها آل عثمان في حكم مصر وإدارتها ولاشك أن السلطان سليم قد استنار بهذه المعلومات في وضع القواعد ورسم المبادئ العامة التي أقام عليها العثمانيون نظام حكمهم في مصر

وقد رأي السلطان أن مصر بمعزل عن أملاك الدولة وأن بعدها عن مقر الحكم في الأستانة قد يساعد حكامها على الاستقلال عن الباب العالي فوضع نظاماً يقضي بتوزيع السلطة على ثلاث هيئات:

- الوالي
- الحامية العثمانية
- المماليك

نجح هذا النظام إلى حد ما في عهدي سليم الأول وسليمان القانوني ولكن مساوءة لم تلبث أن أخذت تظهر تدريجياً فقد أدي توزيع السلطة بين الباشا والحامية العثمانية والمماليك إلى قيام ن زاع دائم بين هذه القوى الثلاث مما انعكس على أحوال مصر الداخلية وأدى إلى تدهورها وإليك وصفا عاماً عن أهم عناصر الحكومة والإدارة في مصر العثمانية واختصاصات كل منها:

أولاً: الباشا

يسمى في الوثائق العثمانية تارة "بوالي مصر" وتارة أخرى "بمحافظ مصر المحروسة" كان يقيم بالقلعة ومدة حكمه كانت تتراوح بين عام وثلاثة أعوام بمقتضى فرمان سلطاني وذلك نظير مبلغ من المال يدفع سنوياً ومن أهم أعماله «مهامه»:

- كان وكيل السلطان ورئيس السلطة التنفيذية في مصر
- تطبيق قواعد الحكم العثماني في مصر
- الأشراف على الشئون الإدارية والمالية والعسكرية في مصر
- تفقد أحوال الرعية
- حفظ الأمن

وكان الباشا يدفع للسلطان العثماني مبلغاً من المال نظير تعيينه وكيلاً أو نائباً عنه في مصر ولذلك قيل أن الباشا كان يشتري باشوية مصر وكان الباشا يجمع أثناء حكمه في مصر من إيراداته المتعدده أضعاف ما كان يدفعه للسلطان عند توليته نائباً عنه في مصر

وكان لفترة حكم الوالي القصيرة تداعيات من أبرزها:

- إن الدولة العثمانية نجحت في الاحتفاظ بسيادتها على مصر لفترة طويلة ولم يستطع الولاة العثمانيين الإنفراد بحكمها «وهو أمر في صالح الدولة العثمانية»
- الولاه اتجهوا للعمل وفق مصالحهم فكان همهم الرئسي هو جمع الأموال

وإلى جانب الباشا العثماني أقام العثمانيون ديوانيين: الديوان الكبير والديوان الصغير وكان الباشا يرأس اجتماعات الديوان الكبير وفي بعض الأحيان كان يرأسها وكيله (الكتخدا) وفي أحيان كان الباشا يتابع جلسات الديوان م ن وراء ستار كما كان يحدث في الاستانة ويضم الديوان خلاصة العناصر التي تشترك في إدارة مصر فيحضره طائفة من الموظفين مثل الدفتردار والمهردار كما كان يحضره قاضي القضاة والمفتون على المذاهب الأربعة وكبار رجال الدين وأمير الحج ورؤساء الحامية وغيرهم وكان الباشا يدعو هذا الديوان إلى الاجتماع أربع مرات في الأسبوع للبحث في شئون الباشوية من النواحي الإدارية والمالية والقضائية أما الديوان الصغير فكان يجتمع في كل يوم في قصر الباشا ويحضره الكتخدا والدفتردار وبعض رجال الحامية وذلك للنظر في المسائل الإدارية العاجلة

ثانياً: الحامية العثمانية

هي فرق عسكرية موزعة بين القاهرة والأقاليم مهمتها :حفظ الأمن والنظام في الداخل والدفاع عن مصر متى تعرضت لخطر الغزو الخارجي بلغ عددها عند رحل سليم الأول عن مصر نحو اثنا عشر ألفا موزعين بين القاهرة والمدن الرئيسية وكانت مهمة هذه الحامية حماية الوالي الذي كان يمثل السلطان في مصر والدفاع عن مصر ضد العدوان الخارجي ولكن أدى عدم صرف مرتبات شهرية لأفراد هذه الحامية إلى قيامهم بأعمال أخرى يرتزقون من ورائها فأسندت إليهم جباية الضرائب المفروضة على الفلاحين بالقوة

ثالثاً: المماليك

هم بقايا الدولة المملوكية التي حكمت مصر من عام ١٢٥٠ إلى عام ١٥١٧ وكان عددهم لايزيد على عشرة آلاف وقد أمر السلطان العثماني سليم الأول عندما دخل مصر بعدم التعرض لهم أو لممتلكاتهم واستمرار صرف مرتباتهم ويرجع السبب في ذلك إلى أنه أراد الاحتفاظ بهم كعنصر ذو خبرة بشئون الإدارة يساعد في الإدارة العثمانية الجديدة ولذا أقرهم على حكم مديريات القطر المصري وألف منهم الإدارة المحلية

ولم يقتصر الأمر على حكم الأقاليم بل بلغ الأمر مبلغه بأن تولوا منصب مشيخة البلد «حاكم القاهرة» وكان هذا المنصب أعلى المناصب التي تقلدها المماليك البكوات وكان لا يعتليه إلا أكثرهم عصبية وأشدهم بأسا وأوفرهم جندا وكان أبرزهم في هذه الفترة علي بك الكبير

وسرعان ما تطور الأمر بأن عين بعض منهم في وظائف خطيرة كقائمقام الوالي والدفتردار وأمير الحج وحاكم الصعيد وبمرور الوقت أصبح الأمراء المماليك منافسين للولاة وشرعوا في استغلال الخلافات الناشئة بين الوالي والحامية العثمانية لينصروا هذه الفئة على تلك حتى إذا أنسوا في أنسفهم القوة أنفردوا بأنفسهم وأصبحوا قوة مستقلة تقف في مواجهة الحامية العثمانية

ونجح المماليك في تدعيم قوتهم باستجلاب المماليك الصغار عن طريق الشراء كرقيق من جزر البحر المتوسط والبلقان وايطاليا وفرنسا والمجر والمانيا والروسيا وسواحل البحر الأسود وبلا د القوقاز وأخذوا يعلمونهم ويدربونهم ثم يحررونهم ويرقونهم إلى رتبة البكوية إلى أن استعادوا قسطاً من مكانتهم السابقة لدخول العثمانيين إلى مصر

ومنذ أواخر القرن السابع عشر استطاعت قوة المماليك أن تتغلب على قوة الحامية العثمانية وأن تحجب الدولة العثمانية عن السلطة وكذلك الوالي العثماني وانفردت بالحكم رغم بقاء مصر تابعة من الناحية الرسمية للدولة العثمانية ويصل إنفراد المماليك بالحكم إلى

ذروته في عهد على بك الكبير الذي استطاع بمعاونة بعض المستشارين الأجانب أن يستولى على الحجاز وبلاد الشام ويضمها إلى حكمه وأن يقيم علاقات خارجية مع روسيا وإنجلترا وفرنسا

السؤال الثاني: أسفرت الحملة الفرنسية على مصر عن عدد من النتائج، وضحها.

الإجابة

أولاً: النتائج السياسية

- اقتطعت الحملة الفرنسية مصر من كيان الدولة العثمانية عن طريق الغزو العسكري ولم تفلح الدولة العثمانية في استرعادة مصر إلا بعد مضي الثلاث سنوات المشار إليها والتي واجه فيها الفرنسيون مقاومة ضارية من قبل المصريين في كل مكان حلوا به ولم تفلح ادعاءات نابليون التي حاول من خلالها أن يوهم المصريين أنه ما جاء غازياً لبلادهم وإنما يهدف إلى تخليصها من أيدي المماليك واعاد تها لسلطة الدولة العثمانية في أن ترضي الدولة العثمانية أو تقنع المصريين بأن بلاده تؤدي عملاً مشروعاً
- أظهرت مدى الضعف والانهيار الذي حل بالسلطة الحاكمة (عثمانيين ومماليك) مما أدى ظهور طبقة جديدة هي طبقة البرجوازية المصرية (المشايخ والعلماء والتجار) وقد لعبت هذه الطبقة دوراً مهماً أثناء الحملة الفرنسية والفترة التي اعقبتها وقد تمسكت هذه الطبقة بهذا الدور وبمكانتها السياسية ولم يتراجع زعماؤها إلى المواقع الخلفية مرة أخرى في حكم بلادهم حتى وصل الأمر إلى اختيارهم لحاكمهم عندما نصبوا محمد على والياً على مصر في سنة ١٨٠٥
- كان للحملة الفرنسية أثر كبير على العلاقات السياسية بين بريطانيا والدولة العثمانية إذ قامت بريطانيا بعقد معاهدة تحالف لأول مرة مع الدولة العثمانية وروسيا في يناير ١٧٩٨ وكانت تهدف إلى طرد الفرنسين من مصر والشام وبذلك لم تعد علاقات بريطانيا مع ا لدولة العثمانية قائمة على الجانب التجاري بل تعدت ذلك إلى إنشاء علاقات سياسية بالدرجة الأولى بحيث أصبح السفير البريطاني في استانبول تعينه وزارة الخارجية البريطانية وليست شركة الليفانت المسئولة عن النشاط التجاري البريطاني في البحر المتوسط
- أصبحت بريطانيا منذ ذلك التاريخ تعتنق سياسة المحافظة على كيان الدولة العثمانية حتى انعقاد مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ الذي سيكون له أثره الواضح في علاقات أوروبا مع العالم العربي
- لفتت الحملة أنظار الدول الأوروبية لأهمية موقع مصر الجغرافي
- أصبحت انجلترا أكثر الدول اهتماماً بمصر لأن مصر هي مفتاح السيطرة على مستعمراتها في الهند فحرصت على الحيلولة دون وقوع مصر في يد إحدى الدول الأوروبية الأخرى

ثانياً: النتائج الاجتماعية

- هناك أثراً واضحاً للحملة وهو تأثر بعض المصريين رجالاً ونساءً بالفرنسيين فعندما جاء الفرنسيون إلى مصر كانت بعض زوجات الضباط معهم وظهر النموذج النسائي الأوروبي أمام المجتمع المصري من حيث السلوك الاجتماعي والملبس وشاهد المجتمع المصري ما كانت عليه المرأة الفرنسية من حرية وانطلاق مما دفع بعض النساء المسلمات إلى تقليد الفرنسيات وتشبهن بهن وكانت نتيجة محاكاة هؤلاء النسا ء الفرنسيات أن قتلن عقاباً لهن على تبرجهن بعد خروج الفرنسيين من مصر وكانت زينب البكري نموذجاً

- خلقت سياسة الحملة الفرنسية تجاه بعض طوائف الشعب المصري وبخاصة الأقباط واليهود وغيرهم نوعاً من الفرقة فقد اثارت حفيظة بقية المصريين ضدهم لأول مرة في التاريخ

ثالثاً: النتائج العسكرية

ظهر بوضوح ضعف القوتين المملوكية والعثمانية إزاء التقدم العسكري الفرنسي وهذا أوقف الشعب المصري على حقيقة هذه القوى وجعل زعماء الشعب يقررون الاعتماد على النفس فأخذوا يعدون أفراد الشعب المصري للمقاومة الشعبية والتصدي للدفاع عن بلادهم بأنفسهم وهكذا اهتز إلى حد كبير في أعين المصريين مركز المماليك والعثمانيين ومقدرتهم على الدفاع عن مصر والعالم العربي مما جعل القيادات الشعبية تعتمد على نفسها في الدفاع كما حدث بعد ذلك مع حملة فريزر الإنجليزية في رشيد عام ١٨٠٧

رابعاً: النتائج الاقتصادية

- تأخر الانتاج الزراعي والصناعي واحجام الناس عن استثمار اموالهم وجهودهم في النشاط الاقتصادي نتيجة لعدم الاستقرار الناتج عن الحروب والثورات والضغط المستمر من قبل الفرنسيين
- التجارة كذلك أدى حصار الأسطول الإنجليزي للسواحل المصرية والشامية إلى تعطيل حركة التج ارة الخارجية وأصبحت الصادرات والواردات في حكم المعدوم وأدى هذا بطبيعة الحال إلى اضعاف الانتاج المحلي حيث أصبح من المتعذر تصريف الفائض أحياناً وندرة الأقوات أحياناً أخرى وعندما انقطعت الصلة بين الحملة وفرنسا بذل الفرنسيون جهودهم في الحصول على الأموال ال لازمة للجيش الفرنسي والإدارة الفرنسية من الموارد المحلية عن طريق الاكثار من الضرائب والغرامات والمصادرات مما دعا كثيرين من السكان وبخاصة في الريف إلى ترك قراهم واهمال زراعاتهم كذلك فعل أرباب الصناعة والتجارة خوفاً من استيلاء الفرنسيين على منتاجتهم وارزاقهم

خامساً: النتائج العلمية

- أسس نابليون مجلساً استشارياً للحكومة سماه " المجمع العلمي" وقد قسم المجمع إلى أربعة أقسام أولها للرياضيات وثانيها للأدب والفنون وثالثها للطبيعيات ورابعها للاقتصاد السياسي ويتألف كل قسم من اثنى عشر عضواً ويجتمع أعضاء المجمع الثمانية والأربعون مرتين كل شهر وكان مقر المجمع العلمي قصر حسن كاشف بالناصرية وكان أعضاء المجمع يقومون بأبحاث كل في العلم الذي تخصص فيه حتى يمكنهم أن يعطوا لحكومة نابليون المشورة التي تطلبها منهم
- كتاب وصف مصر والذي كان أساس البحث العلمي الحديث في كل ما يخص التاريخ والمجتمع والاقتصاد المصري
- كما قام علماء الحملة بدراسة وتنفيذ بعض المشروعات مثل دارسة مشروع شق قناة لتربط بين البحرين المتوسط والأحمر
- ادخلوا الطباعة في مصر عن طريق مطبعة الحملة التي كانت تطبع المنشورات التي يصدرها رجال الحملة
- كما يعود للحملة الفرنسية اكتشاف حجر رشيد الذي كان بداية لفك رموز اللغة المصرية القديمة مما
- أثار اعجاب الفرنسيين وغيرهم بالحضارة المصرية القديمة

السؤال الثالث: قارن بين نتائج حربي محمد على في الحجاز والمورة.

الإجـابــة

أولاً: نتائج حرب شبه الجزيرة العربية:

- عادت هذه الحرب علي إبراهيم بالخير الكثير فقد ظهر أمام الجميع بمظهر البطل الذي خلص الحرمين الشريفين، والمحافظ على كيان الدولة العثمانية، فهو الذي أعاد بانتصارات ه الهيبة والمكانة لها من جديدٍ، ولاسيما بعدما فشل قادتها في تحقيق ذلك، وفتح أبواب مكة والمدينة مرةً أخرى أمام مسلمي العالم لأداء مناسك الحج، فنال بذلك تقدير الجميع، ومنحه السلطان مكافأةً على تلك الجهود عدداً من الرتب جعلته ذا منزلةٍ عظيمةٍ، منها مشيخة الحرمين وولاية جدة.

- أسقطت الدولة السعودية الأولى.

- أدت إلى ازدياد نفوذ محمد علي وعلو شأنه، إذ أصبح في نظر العالم الإسلام منقذ الحرمين الشريفين، وعماد الدولة العثمانية، وبذلك زادت هيبته، وانتشر صيته.

- أدي اتساع نفوذ محمد علي ووصول إبراهيم بقواته إلى الخليج الفارسي إلى الاصطدام بالمصالح البريطانية، فبريطانيا كانت تسعى دائماً للتحكم في الطريقين البحريين الرئيسي ين المؤديان إلى الهند طريق البحر الأحمر وطريق الخليج الفارسي، لذلك سعت إلى توطيد نفوذها على الساحل العربي للخليج، والوقوف بشدة أمام طموحات محمد علي، ليس فقط في الخليج، وإنما كذلك في اليمن، إذ استطاعت عام ١٨٢١ أن تعقد معاهدة تحالف مع أمام اليمن، ومضت في تخطيطها حتى أعلنت الحماية على عدن عام ١٨٣٩.

- فتحت أسواق جديدة للمصنوعات المصرية، حيث ضمت هذه البلاد إلى مصر، وأصبحت جزءاً منها.

- أبرزت الحرب الوهابية مصر كقوةٍ جديدةٍ، يجب أن يعمل لها حساب، فقد نظر العثمانيون إلى مصر على أنها المنقذ، وسوف تكون دعماً لهم، كلما أطاحت بهم الأزمات والمصاعب.

- استطاع محمد علي من خلالها التخلص من عددٍ كبيرٍ من جنوده الألبانيين، الذين كانوا عقبة أمام محاولاته لتحديث وإصلاح الجيش.

- أصبحت لمصر قوةً جديدةً، فقد كُوِّنَت من خلال الحرب النواة الأولى للأسطول المصري في العصر الحديث.

- أرهق محمد علي في سبيلها أموالاً طائلةً، تحَّمل ثقل وطأتها الشعب مصر، بدفعه للضرائب المختلفة.

وهكذا رأينا ما حققه إبراهيم من نجاحاتٍ في شبه الجزيرة العربية التي كانت بمثابة الميدان الخارجي الأول الذي أثبت فيه مدى ما يمتع به من كفاءةٍ حربيةٍ وإداريةٍ، فق د استطاع أن يثبت للجميع كفاءته كقائد حربي فذ، إذ نجح في تحقيق ما لم يستطع أن يحققه ولاة الشام والعراق، وأن يتم ما لم يستطع أخوه وأبوه من قبل إتمامه، فنال بذلك تقدير الجميع.

ثانياً: نتائج حرب المورة

رغم الخسائر المادية والبشرية التي فقدتها مصر في هذه الحرب، والتي لا تتناسب مطلقاً مع جزيرة كريت التي منحها السلطان لمحمد علي مكافأةً له على جهوده في إخضاع ثوار هذه الجزيرة، فقد أفرزت عدداً من النتائج المهمة.

- بالنسبة لإبراهيم أثبت فيها للجميع مدى ما يتمتع به من كفاءةٍ عسكريةٍ، وعظمةٍ في فن القيادة، فكما ر أينا استطاع أن يحقق ما لم يقدر علي تحقيقه قواد الدولة العثمانية في أطواره الأولى، فقد أخضع معظم معاقل الثوار في جزيرة الموره، وبينما كان يتأهب للقضاء على أخر معاقلهم في جزيرتي هيدرا واسبيزيا هبت أوروبا لنجدتهم، ولولا هذا التدخل لقضى على الثورة نهائياً، وحق ق مجداً عسكرياً عظيماً، وعلى كلٍ تميز أسلوب إبراهيم الحربي في الموره بالوضوح ودقة التنفيذ، فكان يقوم باستطلاع ومراقبة أحوال عدوه عدة أيامٍ، ليتسنى له إدراك نقاط الضعف والقوة في صفوفهم، ومن ثم يقوم بوضع الخطة المناسبة للمعركة، فإذا وقف على نقاط الضعف ضرب عد وه ضربةً قاصمةً سريعةً يعقبها بحربٍ لا هوادة فيها، وقد حقق عنصر المفاجأة والمباغتة الذي تميز به أسلوبه النجاح، إذ كانت حربه مع الثوار تشبه حرب العصابات، وكان إبراهيم يعتمد في ذلك على خفة تحركات قواته، هذا إلى جانب أنه اتبع تكتيكاً حربياً مثالياً في هذه الح رب، ففي عملياته الحربية في تريبولستا وميسولونجي، قام بمحاصرة عدوه أولاً، ليقطع عنه وسائل المدد، ومن ثم يتم تجويعه، ويهزم معنوياته، وأياً ما كانت الأمور فقد اعتلى إبراهيم إلى جانب مكانته الحربية العظيمة مكانة سياسية كبيرة، وليس أدل على ذلك من المفاوضات التي دارت بينه وبين أعظم أمراء البحار الأوروبيين على أرض الموره، ورغم كل ما مارسوه عليه من ضغوط سياسية واقتصادية وحربية، لم يتزحزح قيد شعرة عن مكانه إلا بأوامر من أبيه.

- وبالنسبة لأهمية الحرب للجيش فقد كانت أول حرب أوروبية يخوض غمارها برهن فيها للجميع على كفا ءته وقوته، وحسن نظامه، وشجاعة جنوده، وأنه أرفع شأناً وأشد بأساً من الجيش العثماني، وفي الوقت نفسه فقد أظهرت الحرب أن الأسطول المصري الناشئ على الرغم من حسن تنظيمه، فإنه لم يكن معداً لحرب أوروبية، إنما كان معداً لمحاربة ثوار مثل اليونانيين، وبالتالي كان من الصعب عليه مواجهة أساطيل الدول الثلاث.

- خرج محمد علي من الحرب بمكسبٍ سياسيٍ كبيرٍ ألا وهو أن الدول الأوروبية قد عاملته على أنه حاكمٌ مستقلٌ لا يتبع أحداً، ويكفي أن قرار الانسحاب من الموره كان بأمرٍ منه لا بقرارٍ من السلطان، فاتفاق الحلفاء معه مباشرةً قد م نحه أهميةً كبيرةً، وجعل منه نداً للباب العالي، وبذلك تمكن من الحصول على اعتراف دولي بمركزه ومركز مصر، وأهميته وأهمية مصر للعالم، وإن لم يكن بصورة رسمية ومباشرة.

- انتهت هذه الحرب بجوٍ من الشك والتوتر بين الباب العالي ومحمد علي، فرغم تضحيات مصر في سبيل الدولة العثمانية، إلا أن والي مصر قد انسحب منها دون إذن مسبق من السلطان، مما أثر عليه بالسلب تجاه محمد علي.

- لعل أهم النتائج التي أبرزتها هذه الحرب لمحمد علي مدى الوهن والعجز الذي أصيب به السلطان، الأمر الذي على أثره بدأ والي مصر يخطط لاقتطاع جزء من أملاك ا لدولة العثمانية لنفسه، والاستقلال بما يمكن الاستقلال به من أراضيها.

خلاصة القول كان لمشاركة إبراهيم وقواته في حرب الموره، وما حققه من انتصاراتٍ ونجاحاتٍ متتاليةً أثراً مضيء في تاريخ مصر الحربي في العصر الحديث

مع أطيب الأمنيات بالتوفيق

د/ عبدالله فوزي الجنايني